مفتي الديار المصرية بالدليل المحتج عليها بالقرآن الكريم؟ واذا كان أمير مصر في القرن الماضي رأى وهو في كمال استقلاله ، وعدم دخول النصارى في أعماله ، ان العالم الذي قال بعدم حل ذبائحهم يستحق النفي من بلاده فماذا يرى أمير مصر اليوم في ذلك — وهو أعلم من جده بوجوه الحاجة الى مجاملة الامم النصرانية والاخذ بالاقوال الشرعية التي تقنعها بأن ديننا دين مدنية وعمران ؟؟ لعل الرئيسان العظيمان يريان ويقولان ان سلفنا اهتموا بتأديب الشيخين اللذين حرما ذبائح النصارى لأنهما من العلماء الذين يخدع العوام بأقوالهم واما المحرم لها اليوم فهو من رجال القوانين ، فلا يلتفت أحد الى قوله في الدين ، وهو رأي صائب . وان كان النهي عن المنكر من الواجب .

باب السؤال والفتوى

(شبهة على الوحي)

(س ١) أحد قراء المنار بمصر :

حضرة الاستاذ الرشيد

عرضت لي شبهات في وقوع الوحي (وهو أساس الدين) فعمدت الى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده — حيث وقع اختياري عليها وقرأت في بابي « حاجة البشر الى الوحي » و « امكان الوحي » فوجدت الكلام وجيها معقولا غير ان الحاجة الى الشيء لا تستلزم وقوعه وكذا إمكانه وعدم استحالته عقلا لا يقتضي حصوله . ثم ماذكر بعد من أن حالة النبي وسلوكه بين قومه وقيامه بجلائل الاعمال وبوقوع الخير للناس على يده هو دليل نبوته وتأييد بعثته فليس شيئا فانه قد يكون (كون) النبي حميد السيرة في عشيرته صادقا في دعوته — أعني معتقدا في نفسه — سببا في نهوض أمته ولا يكون كل ذلك مدعاة الى الاعتقاد به والتسليم له .

ولقد حدث بفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت مقهورة للانكليز ان بنتا تدعى « جان دارك » من أجمل النساء سيرة وأسلمهن نية اعتقدت وهي في بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية انها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها ودفع العدو عنه وصارت تسمع صوت الوحي فانخلعت في الدعوة للقتال وتوصلت بصدق

ارادتها الى رئاسة جيش صغير وغلبت به العدو فعلا ثم ماتت غب نصرتها موتة الابطال من الرجال اذ خذلها قومها ووقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية فذهبت تاركة في صحائف التاريخ اسما يبقى نشره وتضوع زياه وهي الآن موضع اجلال القوم واعظامهم فلقد تيسرت لهم النهضة بعدها وجروا في العلم والرقي بعيدا فهل نجزم لذلك ان تلك البنت نبية مرسلة ؟؟؟..... ربما تذهبون الى ان عملها لا يذكر مقارنا بما أتت به الرسل وما وصل للناس من الخير بسببهم فاقول هل هناك من ميزان نزن به الاعمال النافعة لنعلم ان كانت وصلت الى الدرجة التي يجب معها ان نصدق دعوة صاحبها وهل لو ساعدت الصدف (كذا) رجلا على ان يكون أكبر الناس فعلا وأبقاهم أثرا واعتقد برسالة نفسه لوهم قام يقضي بنا ذلك الى التيقن من رسالته ؟....

أظن ان هذا كله مضافا لغيره يدعو الى الترجيح ولا يستلزم اليقين أبدا على انني أنتظر ان تجدوا في قولي هذا خطأ تقنعوني به أو تزيدوني ايضاحا ينكشف به الحجاب وتنالون به الثواب. هذا وإني أعلم من فئة مسلمة ما أعلمه من نفسي ولكنهم يتحفظون في الكتمان ويسألون الكتب خشية سؤال الانسان ولكنني لا أجد في السؤال عاراً وكل عقل يخطيء ويصيب ويزل ويستقيم (أحد قرائكم)

(جواب المنار) لقد سرنا من السائل أنه على تمكن الشبهة من نفسه لم يذعن لها تمام الإذعان فيسترسل في تعدي حدود الدين الى فضاء الاهواء والشهوات التي تفسد الارواح والاجسام بل أطاع شعور الدين الفطري ولجأ الى البحث في الكتب ثم السؤال ممن يظن فيهم العلم بما يكشف الشبهة ، ويقيم الحجة ، وان كثيرا من الناس ليصرفون عن طلب الحق عند أول قذعة من الشبه تلوح في فضاء أذهانهم لانهم شبوا على حب التمتع والانغماس في اللذة ويرون الدين صادهم عن الانهماك والاسترسال فيها فهم يحاولون اماتة شعوره الفطري . كما أمات النشوء في الجهل برهانه الكسبي ، أوى السائل نظر من رسالة التوحيد في المقدمات ووعاها ولكنه لم يدقق النظر في المقاصد والنتائج لذلك تراه مسلما بالمقدمات دون النتيجة مع اللزوم بينهما ولو عاد الى مبحث (حاجة البشر الى الرسالة) وتدبره وهو مؤمن بالله وأنه أقام الكون على أساس الحكمة البالغة والنظام الكامل فاني أرجو له ان يقتنع . ثم انني آنست منه انه

لم يقرأ مبحث (وقوع الوحي والرسالة) أو لعله قرأه ولم يتدبره فانه لم يذكر البرهان على نفس الرسالة ويبني الشبهة عليه وانما بناها على جزء من أجزاء المقدمات وهي القول في بعض صفات الرسل عليهم السلام . وانني أكشف له شبهته أولا فأبين أنها لم تصب موضعها ثم أعود الى رأيي في الموضوع

ان (جان دارك) التي أشتبه عليه أمرها بوحي الانبياء لم تقم بدعوة الى دين أو مذهب تدعي ان فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع المرسلين ولم تأت بآية كونية ولا علمية لا يعهد مثلها من كسب البشر تحدى بها الناس ليؤمنوا بها . وانما كانت فتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين وحركته من عجائب السياسة فتحرك فتفسر فصادف مساعدة من الحكومة واستعداداً من الامة للخروج من الذل الذي كانت فيه ، وكان التحمس الذي حركته سبباً للحملة الصادقة على العدو وخذلانه . وما أسهل تهييج حماسة أهل فرنسا بمثل هذه المؤثرات وبما هو أضعف منها فان نابليون الاول كان يسوقهم الى الموت مختارين بكلمة شعرية يقولها كسكلمته المشهورة عند الاهرام

وأذكر السائل الفطن بأنه لم يوافق الصواب في إبعاد الفتاة عن السياسة ومذاهبها فقد جاء في ترجمتها من دائرة المعارف مانصه : « كانت متعودة الشغل خارج البيت كرعي المواشي وركوب الخيل الى العين ومنها الى البيت وكان الناس في حوار دومرمي (اي بلدها) متمسكين بالخرافات ويميلون الى حزب اورليان في الانقسامات التي مزقت مملكة فرنسا وكانت جان تشترك في الهياج السياسي والحماسة الدينية وكانت كثيرة التخيل والوزع تحب ان تتأمل في قصص العذراء وعلى الاكثر في نبوة كانت شائعة في ذلك الوقت وهي ان إحدى العذارى ستخلص فرنسا من أعدائها . ولما كان عمرها ١٣ سنة كانت تعتقد بالظهورات الفائقة الطبيعة وتتكلم عن أصوات كانت تسمعها ورؤى كانت تراها ، ثم بعد ذلك ببضع سنين خيل لها أنها قد دعيت لتخلص بلادها وتتوج ملكها . ثم أوقع البرغنيون تعديا على القرية التي ولدت فيها فقوى ذلك اعتقادها بصحة ماخيل لها » ثم ذكر بعد ذلك توسلها الى الحكام وتعيينها قائدة لجيش ملكها وهجومها بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانكليز الذين كانوا يحاصرون أرليان وأنها دفعتهم

عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩. ثم ذكر أنها بعد ذلك زالت خيالاتها الخماسية ولذلك هوجمت في السنة التالية سنة (١٤٣٠) فانكسرت وجرحت وأسرت

فمن ملخص القصة يعلم أن ما كان منها انما هو تهيج عصبي سببه التألم من تلك الحالة السياسية التي كان يتألم منها من نشأت بينهم مع معونة التحمس الديني والاعتقاد بالخرافات الدينية التي كانت ذائعة في زمنها . وهذا شيء عادي معروف السبب وهو من قبيل الذين يقومون باسم المهدي المنتظر كمحمد أحمد السوداني والباب بل الشبهة في قصتها أبعد من الشبهة في قصة هذين الرجلين وان كانت أسباب النهضة متقاربة فان هذين كانا كأمثالهما يدعوان الى شيء يزعمان انه اصلاح للبشر في الجملة

أين هذه النوبة العصبية القصيرة الزمن ، المعروفة السبب ، التي لا دعوة فيها الى علم ولا اصلاح اجتماعي الا المدافعة عن الوطن عند الضيق التي هي مشتركة بين الانسان والحيوان الاعجم ، التي لا حجة تعمدها ، ولا معجزة تؤيدها ، التي اشتعلت بنفخة وطفئت بنفخة ، أين هي من دعوة الانبياء التي بين الاستاذ الامام أنها حاجة طبيعية من حاجات الاجتماع البشري طلبها هذا النوع بلسان استعداده فوهبها له المدبر الحكيم الذي «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» فسار الانسان بذلك الى كماله فلم يكن أدنى من سائر المخلوقات الحية التامة بل أرقى وأعلى . وأين دليلها من أدلة النبوة وأين أثرها من أثر النبوة ؟ ان الأمم التي ارتقت بما أرشدها اليه تعليم الوحي انما ارتقت بطبيعة ذلك التعليم وتأثيره وان فرنسا لم ترتق بارشاد (جان دارك) وتعليمها وانما مثلها مثل قائد انتصر في واقعة فاصلة بشجاعته وبأسباب أخرى ليست من صنعه واستولت أمته بسبب ذلك على بلاد رقيها بعلوم علمائها وحكمة حكمائها وصنع صناعها ولم يحكن القائد يعرف من ذلك شيئاً ولم يرشد اليه فلا يقال ان ذلك القائد هو الذي أصلح تلك البلاد وعمرها ومدنها ، وان عد سبباً بعيداً فهو شبيه بالسبب الطبيعي كهبوب ريح تهيج البحر فيغرق الاسطول وتنتصر الامة

أين حال تلك الفتاة التي كانت كبارقة خفقت (ظهرت وأومضت) ثم خفيت ، وصيحة عات ولم تلبث ان خفتت ، من حال شمس النبوة المحمدية التي أشرقت فأنارت الأرجاء ، ولا يزال نورها ولن يزال متألق السناء . أمي يتيم قضى سن الصبا

وسن الشباب هادئاً ساكناً لا يعرف عنه علم ولا تخيل ولا وهم ديني ولا شعر ولا خطابة ثم صاح على رأس الاربعين بالعالم كله صيحة : انكم على ضلال مبين ، فاتبعون أهدكم الصراط المستقيم ، فأصلح وهو الأمي أديان البشر عقائدها وآدابها وشرائعها وقلب نظام الارض فدخلت بتعليمه في طور جديد ؟ لاجرم ان الفرق بين الحالين عظيم اذا أمعن النظر فيه العاقل

لاسعة في جواب سؤال لتقرير الدليل على النبوة وانما أحيل السائل على التأمل في بقية بحث النبوة في رسالة التوحيد ومراجعة ما كتبناه أيضاً من الأمالي الدينية في المنار لاسيما الدرس الذي عنوانه (الآيات البينات ، على صدق النبوات) وان كان يصدق على رسالة التوحيد المثل « كل الصيد في جوف الفرا » فان بقي عنده شبهة فالاولى ان يتفضل بزيارتنا لأجل المذاكرة الشفاهية في الموضوع فان المشافهة أقوى بياناً ، وأنصع برهاناً ، ونحن نعاهده بأن نكتم امره وان أبى فليكتب الينا مايظهر له من الشبهة على مافي الرسالة والأمالي من الاستدلال على وقوع النبوة بالفعل وعند ذلك نسهب في الجواب بما نرجو ان يكون مقنعاً على ان المشافهة أولى كما هو معقول وكما ثبت لنا بالتجربة مع كثير من المشتبهين والمرتابين ،

(س ٢) لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه — الشيخ محمد حلمي أستاذ العربية بمدرسة سواكن الاميرية : ضمني وبعض العلماء مجلس ودار بيننا الحديث في مرتبة الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء وآل البيت بعد الممات وهل هم قادرون على اجابة دعوة الداع اذا دعاهم وهل يملكون لانفسهم نفعاً وضراً وفي (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه) هل هو حديث صحيح ومذكور في البخاري وفي الجامع الصغير ، فقلت أنا بالسلب في الكل وقالوا هم بالايجاب وقد رأينا ان نكتب لجنابكم لتأتوا لنا في مجلتكم (المنار) بفصل الخطاب فانك نعم الحكم الذي نرضى حكومته ولكم من الله الاجر ومنا الشكر

(ج) دعوة غير الله تعالى شركه ونهي بها اللجأ الى غيره في طلب ماوراء المساعدة والمعاونة الكسبية التي تكون بين الناس عادة « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » وقد أمر الله نبيه ان يبين للناس عمل الرسل ووظيفتهم بقوله « قل انما أدعو

ربي ولا أشرك به أحدا * قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا * قل اني ان يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً * الا بلاغا من الله ورسالاته » الخ قال البيضاوي وغيره في تفسير قوله « ضراً ولا رشدا » أي لا ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا «عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه اشعاراً بالمفنين» أو هذا هو الذي يسميه البلغاء الاحتباك ومنه قوله تعالى « لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا » أي شمساً ولا قمرا ولا حرا ولا زمهريرا . وقالوا في قوله « الا بلاغا » انه استثناء من قوله « لا املك » أي لا أملك الا التبليغ والله هو الفاعل المؤثر الذي ينفع الناس ويرشدهم بالفعل . وهذه الآية بمعنى قوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي » وما في معناها من آيات حصر وظيفة الانبياء في التبليغ وقد شرحنا المقام مرارا كثيرة .

وأما الحديث فقد جاء في كتاب (اللؤلؤ المرصوع) فيه ما نصه : حديث « لو حسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » موضوع كما قاله ابن تيمية . وقال ابن الجوزي هو من كلام عباد الاصنام : اه ومن أعجب العجائب ان أمة التوحيد قد فشا فيها هذا الحديث المفترى منذ فشت فيهم نزغات الوثنية ودعاء غير الله حتى ان كل عامي يحفظه ولما نبهنا على وضعه في درسنا العام في المسجد الحسيني وبينا فساد الاحتجاج به قام بعض السدنة لتلك الهياكل يغري العامة بالقول بأننا نفسد لهم دينهم أن قلنا في عمود الرخام الذي في المسجد يتمسح به الناس ويلتمسون نفعه: إنه لا ينفع في الحقيقة ولا يضر وان النافع الضار هو الله وحده ولكنه جعل للنفع والضر أسبابا وهدانا لاجتناب الضار واجتلاب النافع بما وهب لنا من العقل والحواس والدين . وعم الغط بذلك حتى نصرنا الله رب العالمين .

(س ٢) الدعاء بين الخطبتين ـ الشيخ مبين شيخ رواق الافغان في الازهر : ما قولكم دام فضلكم في رفع اليدين والصوت وتشويش الناس بالدعاء عند جلوس الامام على المنبر بين الخطبتين في يوم الجمعة كما هو رسم في زماننا فهل هو سنة أو مندوب أو بدعة أو مكروه . وحديث عبد الله بن سلام أصح من حديث أبي موسى الاشعري في تعيين الساعة التي يجاب فيها الدعاء . بينوا تؤجروا أثابكم الله :

(ج) حديث أبي موسى الذي يشير اليه السائل هو ان النبي عليه السلام يقول في

ساعة الجمعة « هي ما بين ان يجلس الامام — يعني على المنبر — الى ان يقضي الصلاة » رواه مسلم وأبو داود وقد أعلوه مع ذلك بالانقطاع والاضطراب أما الاول فلان مخرمة ابن بكير روايه عن أبيه قد نقل عنه انه قال انه لم يسمع من أبيه شيئا . وأما الثاني فهو أنهم قالوا ان أكثر الرواة قد جعلوا هذا الحديث من قول أبي بردة مقطوعا وانه لم يرفعه غير مخرمة عن أبيه بردة الخ ما قالوه وقد استدركه الدار قطني على مسلم . وأما حديث عبد الله بن سلام فهو نا طق بأن الساعة التي يجاب فيها الدعاء هي آخر ساعة من النهار وقد رواه ابن ماجه مرفوعا ورواه مالك وأصحاب السنن وغيرهم من طريق محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن عبد الله بن سلام من قوله ورجاله رجال الصحيح وفي معناه أحاديث أخرى تؤيده ويعارضها حديث أبي سعيد عند احمد وابن خزيمة والحاكم وهو أنه سأل النبي عنها فقال « قد كنت علمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر » ورجاله رجال الصحيح ايضا وأجيب عنه بانه لا يصلح للمعارضة لجواز ان يكون ذكر بعد ما نسي .

وللعلماء في تعيين ساعة الاجابة أربعون قولا ونيف والاكثرون على ترجيح أحد الحديثين المشار اليهما في السؤال والارجح انها آخر ساعة من نهار الجمعة والمراد بالساعة الزمانية وتصدق بدقيقة أو دقائق . أما رفع اليدين والاصوات بالدعاء عند جلوس الخطيب بين الخطبتين فلا نعرف له سنة تؤيده ولا بأس به لولا التشويش وأنهم جعلوه سنة متبعة بغير دليل والمأثور طلب السكوت اذا صعد الامام المنبر وانما السكوت للسماع لذلك نقول لا بأس بالدعاء في غير وقت السماع ولكن يدعو خفية لا يؤذي غيره بدعائه ولا يرفع كل الناس أيديهم فيكون ذلك شعارا من شعائر الجمعة بغير هداية من السنة فيه : بل انهم يخالفون صريح السنة اذ يقوم الامام ويشرع في الخطبة الثانية وهم مستمرون على دعائهم فأولى لهم سماع وتدبر وقت الخطبة وفكر وتأثر وقت الاستراحة وأمون فعلهم هذا ان يكون بدعة مكروهة والله أعلم

(س ٣) منصب شيخ الاسلام وتاريخه من اسمع بالازهر :

يقرع الاسماع كثيرا لفظ (شيخ الاسلام) فهل هذا اللفظ مما اصطلح عليه المسلمون وله مدخل في شأنهم ويعتبر من الوظائف الدينية التي يوجبها الشرع أم

هذا لفظ وضعي لا مساس له بالشرع؟ ومن أول من اخترعه نرجو الجواب ولكم الاجر والثواب ٠

(ج) ان هذا اللقب من الالقاب الحادثة للمنصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة العثمانية الفتوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة وأحد اعضاء مجلس الوزراء وقد وضع الملوك هذا المنصب بعد ما صارت أمور المسلمين في أيدي الجاهلين بالشرع من السلاطين واعوانهم الوزراء فمن دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للامة لاسيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع في كثير من أحكامهم. وكان اختراع هذا اللقب في أوائل القرن التاسع زمن السلطان مراد خان الثاني الذي ولي السلطنة في الثامنة عشرة من سنه وقد وليه في زمنه محمد شمس الدين ٨٢٨ وفخر الدين العجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذي يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان ٠ هذا هو اللقب الرسمي والعلماء كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفقه الدين كابن تيمية والعز بن عبد السلام ويطلقونه في مصر على شيخ الجامع الازهر ٠٠

القسم العمومي

نظام الحب والبغض تابع ويتبع

قد سمعنا أقوال الناس في انساب الشعوب ولكل أمة أساطير تحكيها في أصلها ونسبها وتتحمل لها من الفضل والتميز ماتتحمل ٠ وكل الذي زعموه خيال لا يصح وهو كذب النسابون».

أما هؤلاء البحاثة النسابة من الاوربيين وهم أمثل النسابين في هذا العهد لانعامهم في التدقيق واممانهم في التحقيق فانهم يذهبون الى ان القرابة القريبة انما تعرف بتقارب اللغات ٠ وقد يصح هذا لو كان لنا ثقة بأن الاقوام المتباعدة لم يطرأ على ألسنتهم تغيرات توجب فيها قرباً من ألسنة البعداء وبعداً من ألسنة القرباء ولكن أنى لنا تلكم الثقة ؟

وههنا نكتة كنا نود أن يسلم منها هؤلاء المحققون وهي نسبة المرة المتولدة

من والدين مختلفي القبائل الى قبيلة الاب من دون الام . فما الداعي ان نقول فلان ابن فلان حتى نوصله الى أصل قبيلة ذي الصلب المشكوك ولا نقول فلان ابن فلانة حتى نوصله الى قبيلة ذات الرحم المتيقن ؟ ولكن سرى لهؤلاء التقليد أيضا وخلطوا ماقبل التاريخ بما بعد التاريخ اذ قالوا أصول البشر (١) الساميون (٢) والاريانيون و (٣) التورانيون ثم ألحقوا كل جيل من الشعوب الحاضرة بأصل من هذه الاصول

وان نتبع الظن كما اتبعه غيرنا فاني لاأرى من قرابة للاجيال قريبة الا باعتبار تقارب المقرّات التي تفرق فيها البشر وهذا الرأي يعرفنا بقربى شعوب الارض من بعضهم فيما قبل تعريفاً يوصلنا الى ما بعد . ويعطينا قاعدة نعتقد فيها بقرابات الشعوب الحاضرة اعتقاداً جديداً غير اعتقاد أولئك النسابين ومقلديهم . وهي ان العبرة بآخر دور من المزيج وهذا يتحقق بتقارب المقر لا بتقارب اللغة فكم نعلم من فئة هاجرت من ديارها وحلت في ديار أخرى وتغذت من مواليدها وتزوجوا بنسائها ثم تغذت أولادهم من مواليدها وتزوجوا بنسائها فلم يلبثوا بطوناً قليلة حتى صارت اعقابهم بعضاً من الذين هاجروا اليهم في اللون وتركيب البنى . فأيّ الفريقين أقرب الى هؤلاء ؟ آلذين هاجروا عنهم لتقارب لغاتهم أم الذين هاجروا اليهم لامتزاجهم بها وتقارب أبدانهم واشتراكها في التركب من مواليد أرض واحدة ؟ ولم لا ننسب أولاد المهاجرين المتولدين من بنات المهاجر اليهم الى قبيلة أمهاتهم ؟

هذا ان حافظوا على أصل لغتهم أو ابقوا القرابة بينها وبين تلك . وقد يكون هذا ان كان المهاجرون كثيرين كالعرب الذين هاجروا — قبل الاسلام — من الجنوب الى الشمال وكالاوربيين الذين هاجروا — قبل التمدن — من الشمال الى الجنوب . وأما اذا لم يحافظوا على اللسان — وهو كثير — فهل تجدون لهم قريباً غير من هاجروا اليهم ثم امتزجوا بهم ؟

على انه ما من أمة اختلطت بغيرها وأخذت منها الا وتعطيها كما أخذت فان أمة هاجرت واخذت من المهاجر اليهم الفاظا وبيانات حتى خالفت من هاجرت عنهم بعض المخالفة فإنها تعطيهم الفاظا وبيانات من عندها حتى يوافق من هاجروا اليهم لمن هاجروا عنهم بعض الموافقة ثم قد تحدث أسباب تجعل هذا القليل من المخالفة أو الموافقة كثيراً

وانما التزمنا التعرض لهذا البحث لان كلامنا في هذا الباب استدعى بيان ما هو

الاقدم من أحوال البشر ، لتفيدنا معرفة تقلبه في الاطوار والادوار معرفة ماهو الانسب الراجح من سننه فان الانسب البقاء ، وبمثله يكون الارتقاء والمرجوع منه ما بادومنه ما سيبيد بهمة المتفكرين .

وبالذي حررناه يتجلى لكم ان رابطة القومية قد اسسها قصد التعاون من بعد تفرق الازواج في كل مغار ، فهو الذي جمع ابناء من أزواج متعددين على رابطة معناها قانون يحكم فيه بتكافل القرباء وتوحيد مصالحهم التي هي بالنسبة الى غيرهم

وقد رضخ البشر لهذا القانون الصناعي المادي حتى ظنه القانون طبيعيا روحيا فيئسوا من معالجة المرضى بالتعصبات التي لم تأذن بها الانسانية (هي المعنى المخلوق لاجله الانسان) ويدلنا على كونه غير طبيعي كثرة مايدعو اختلاف المصالح بين القرباء الى تبعيدهم وتقريب البعداء . وكم علمنا من حوادث جرت على هذه السنن . وليس بعيدا عهد المستعينين بالمماليك وهم أبعد البعداء ، على سراة أمتهم وخواص اسرتهم وهم أقرب القرباء ، وسواء كان المستعينون بالغريب على القريب مدافعين أو مهاجمين فكلتا الحالتين ترديانا الى وقوع تعاد بين القرباء يوقع الفرقة والترة ، وحدوث تعاون بين البعداء يحدث الصلة والقرة . وهذا يهدينا الى ان الاصل صناعي لاطبيعي .

ولعل الذين يرون رسوخ ذلك الرضوخ لذلك القانون (رابطة القومية) طبيعيا انما يبنون ظنهم على ان قرابة الابدان توجب قرابة الافكار والقلوب . وهو ظن ليس ببعيد بل يتبادر الى ذهن كل امرئ بيدان انعام النظر يهدي الى أن الحس يخطئ هذا الظن وذلك انا نجد أخص قرابة وهي قرابة الاولاد من الوالدين لا توجب قرابة الافكار والقلوب الا اذا كانت افكار الاولاد مأسورة بيد الوالدين أو أحدهما وهو الاكثر . والبداهة تشهد ان هذه القرابة الفكرية على هذا الوجه صناعية أيضا . ومن المشاهدان الذين خلصوا من هذا الاسر قد بدوا بأفكارهم عن افكار والديهم بدا شاسعا . ومن العجب ان هؤلاء الخالصين من ذلك الاسر على قلتهم وانفرادهم في أممهم كانوا هم المغيرين لعادات البشر واخلاقهم . والتغيرات التي حدثت في النوع هي الدرجات التي تنقل فيها حتى بلغ هذا اليوم وشعوبه واجياله متفاوتة هذا التفاوت

بل نحن نجهر بما أخفى من هذا وهو ان البشر قبل ان يرتقوا (أي قبل أن تحدث لهم روابط أخرى غير رابطة القومية) لم تكن رحمتهم لاولادهم طبيعية لعلة انهم أجزاء منهم، وأقرب الاغيار اليهم، وامانة عظمى في أيديهم، بل كانت رحمتهم طبيعية لعلة أنها لازمة من اللوازم العامة فلم يك من فرق بينها وبين تلك الرحمة الموجودة عند الحيوان مادام مولوده صغيرا محتاجا للرحمة.

وتظهر الثمرة من اختلاف العلتين في نقصها متى كبر أو فقدانها الآن تنقلب الى معنى آخر فيكون الحكم لذلك المعنى لا لها.

وذلك المعنى قد يكون الامل بأن يكون عونهما يوم يكونان ضعيفين ويكون قويا، وقد يكون حنين النفس الى ما الفته بواسطة التربية. ومألوف النفس مرحوم عندها ومحبوب ومولوه به. وقد تألف النفس جمادا أو نباتا أو حيوانا فيكون لديها أعز من الولد. ولا سيما اذا شارك الالفة شئ من التربية لان من جبلة حب الذات حب صنعتها والا لما صنعت. والتربية من الصنعة بل هي أم الصنائع لان في معناها التزييد وهو روح الصنع.

فالامل هو الذي يجعل الابناء أعز وأحب من البنات بل فقده هو الذي كان يجعل البنات حملا ثقيلا يجب الاسراع بطرحه كمثل اولئك الذين كانوا يئدونهن فلو كانت رحمتهم للاولاد لتلك العلة المظنونة (علة كونهم اجزاء من الوالدين وامانة كبيرة عندها) لما كان هذا الفرق. ولما كان فرق أيضا بين أولاد الابناء وأولاد البنات وانك لتراهم يفرقون. قال قائل منهم:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الاباعد

والامل هو الذي يكثر الحب والرحمة للاولاد اذا قلوا ولا سيما اذا كان الوليد وحيداً ويقلها اذا كثروا. والتربية هي التي تجعل الصغير أعز من الكبير غالبا عند الامهات. والذكر أعز من الانثى لدى الآباء. والتربية هي التي تجعل المربى البعيد من الانسان في حكم الولد. كمثل ولد حملت به زوجته من غيره ثم وضعته على فراشه ورباه في خبائهما بل كولد التقطاه ليكون لهما في حكم الولد. وتجعل غير المربى القريب من الانسان في حكم البعيد كولد حملت به منه غير زوجته ووضعته على غير فراشه، وولد حملت به ولما وضعته رمته ليلتقطه الابعدون اولتأكله الكلاب والذئاب.

هـذا وما نحن في هذه البيانات بواترين حق تلك الصناعة التي كشفنا اسرارها من أول نشأتها . ولكننا مهدنا تقلبها لنشير الى بطلان أكثر التعصبات المبنية عليها عند الذين تزكت نفوسهم وصحت اخلاقهم . فإنه لا معنى لدى أهل هـذا العلم (علم النفس وما يصلحها — علم الاخلاق) لتعصب كل قوم على آخرين بغير الحق الا الاثم والعدوان ، والبغي والطغيان . وساء ذلك من تعاون . وما هو الا التغابن لو كانوا يفقهون

وقد اغتر بها الانسان . يوم عداه العرفان . من أجل هذا كتب عليه الاقلان . الجهاد والعدوان . وغلب عليه الهلكان . الاستبداد والكفران . وبئس ذلكم الشان .

واقبح من تلك التعصبات الباطلة الفخر بالانساب وتخيل الشرف والمجد بالتولد من ذاك الوالد وذاك الجد . وان تلك لاوهام باطلة . لا تروج الا على العقول الباطلة ، ولا يتعلق بها الا كل ختال ختار . فقوا أنفسكم من هـذا العار — أن تكونوا لها فاعلين ، أو تكونوا بها مؤمنين .

هذا ما توصيكم به الفضيلة وهي التي تزكي حقائقكم وتهب كل نفس قوتها وسعادتها . وأما ما توصيكم به السياسة وهي التي تزكي أسماء جماعاتكم . وتهب كل جماعة حظها من التميز على أختها فانها توصيكم أن لا تنسوا حظكم من تلك الرابطة وان استعنتم بالاوهام ، وتوصيكم ان لا تجمدوا عليها لئلا تبقوا كالانعام : كما بقي أهل المغارات واخواتهم ممن في الخيام . فكونوا من اخوان الفضيلة أو اخوان السياسة انكم مخيرون . وتفكروا ينفعكم التفكر ولعلكم ترشدون . ولا تقلدوا ان المقلدين اخوان الهون . ومن ظن أن حكم الامم بهذه الرابطة فأعلموه انهم بالسياسة حاكمون . وفي الآتي تفصيله للذين يقرأون .

(ع . ز)

باب الاجتماع الاول

﴿ استمساك العرب بالدولة العلية ﴾

زار اللورد كرزون حاكم الهند العام الخليج الفارسي من مدة قريبة ولما عرج على جزيرة البحرين زار فيها هرو قرينته صديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير